أكيتو.. إرث حضاري وعمق إنساني عراقي

بدران امرايا

للأول من نيسان معان ومدلولات حضارية عميقة وعظيمة فهو يمتد إلى ٦٧٦١ عاما وهذا الرقم او التاريخ يستخلص بإضافة ٤٧٥٠ عام ق.م السنة التي انتهى فيها الطوفان الكبير حسب لوح طيني مكتوب بالخط المسماري إلى السنة الميلادية ٢٠١٠ علم، ويرتبط هذا الطقس الاحتفالي بالقيم الميثولوجية الروحية والجمالية وتقاسيم الزمن عند الإنسان الرافديني العراقي الذي يعود إليه الفضل في مراقبة الفلك وحركة الكواكب والنجوم وعلى ضوئها وضع تقاسيم السنة ٣٦٥ يوما للفصول الأربعة ولـ ١٢ شهر وسماها "نيسانو - ايارو - سيمانو - دوزو - آبو - اولولو - تشريتو - ارخمسنا - كسليمو - طيبيتو - شباطو - ادارو" وقسم اليوم الى ٢٤ ساعة والنظام الستيني الساعة لـ ٦٠ دقيقة والدقيقة لـ ٦٠ ثانية وتوصلوا إلى تطبيق النظريات الرياضية وابتكار الساعات المائية والشمسية وغيرها من التفاصيل وأطلقوا على هذه الظواهر الطبيعية أسماء عديدة حيوانية وانسانية و خرافية وإلهية مثل "آنو - انليل - ايا - ادد - ننليل - الكي - ايمو - سين - اوتو - ننكال ..الخ" من خلال مراقبتهم للكواكب بمراكز رئيسية خاصة للرصد في اربيل والوركاء وسبار، وبوساطة عدسات من حجر الكرستال كما بين علماء الآثار.

وهذا الطقس يمثل أو يرمز لانتصار قوى الخير على الشر "تيامات" وتجدد الحياة وانبعاثها وخلودها روحيا فبنزول انانا - عشتار آلهة الحب والجمال والخصب رمز الأنوثة والتي تتجسد بـالنجمة الثمانية" كوكب الزهرة" المع الكواكب إلى العالم السفلي "الشرير" حيث يكمن حبيبها الراعي "تموز" وهو بين مخالب نركال آله ذلك العالم السفلي المظلم، وإنقاذه من براثن ذلك العالم التحتاني، والذي بقي فيه طيلة فصلي الخريف والشتاء فصلي الفقر والقحط والسبات، واتحادهما والتزاوج فيما بينهما لبعث بذور الحياة وتجددها وثمرة تزاوجهما المقدس هو حلول نيسان أي نيشن بالسريانية "الرمز" على سطح الأرض المتمثل بتلاقح وتزاوج عناصر الطبيعة من بذور النباتات وتكوين براعم جديدة واكساء الأرض حلة طبيعية خضراء زاهية براقة حالة الأحياء الأخرى على التزاوج و التكاثر وتكوين أحياء جديدة تلائم حلة الطبيعة الجديدة أيضا، فبحلول الأول من نيسان من كل عام، كان أبناء الرافدين بناة الحضارة الإنسانية، يحيون طقوسا إنسانية روحية احتفاءا و تمجيدا لمكانة هذه المناسبة المباركة، ففي نهاية شهر آذار " آدارو" وإطلالة نيسان " نيشانو" كانت الإمبراطورية البابلية- الآشورية تستنفر قوتها لاستقبال مراسيم هذا الطقس النهريني الخالد الذي يتغير فيه التوقيت الشتوي الى الصيفي، فقد كانت كل مؤسسات الإمبراطورية الدينية والسياسية والأجهزة الأمنية تتأهب لذلك و بهمة رجل واحد، فكانت تصل الوفود القادمة من أصقاع الدولة ومدنها "اربيل اربا ايلو - كلد - نمرود كالح - اوهاي - زالين قامشلي - سومر - اورميا - شروباك - نيبور - ادب - دور شروكين خرسباد - نصيبين - اريدو - كيش - نوهدرا دهوك - ميشان - اريخا كركوك - ميافارقين ديار بكر - مردي ماردين - الوركاء - اور - لارسا - الحضر - نفر - ايسن - اشنونا - اروك - وغيرها " الى حيث معبدي آشور " شوراليا " البداية التي ليست لها نهاية، ومردوخ صاحب الذبائح في بابل حاملين معهم تماثيل معابد مدنهم الفرعية إلى حيث المعبدين الرئيسين "آشور ومردوخ" وإحياء طقوس دينية معقدة و تعبيرية تمتد لاثني عشر يوما متتالية من دون انقطاع ولكل يوم طقسه الخاص، وكانت الحشود الجماهيرية من الإمبراطور أو الملك وحاشيته والحكام والوزراء والأمراء والكاهن الأعظم والكهنة بجميع رتبهم وقادة الجيش والقوى الأمنية وكافة والعلماء والمؤرخين والقضاة وممثلي كل المؤسسات وملوك وممالك دول مجاورة يدعون للمشاركة.

فكانت هذه الحشود تتراصف بشكل مسيرة كبيرة وطويلة تتقدمهم جوقات الأطفال حاملين أزهارا نيسانية تليهم صنوف الجيش المختلفة المشاة والخيالة ومن ثم عربات تجرها الخيول ومزينة بأبهى صورها يمتطي الإمبراطور أو الملك إحداها وهو يلبس بزة زاهية تعكس براقة نيسان يتوسط رجال أشداء ومقاتلين أفذاذ وحشود عارمة من عامة الناس حاملين سعف النخيل وأغصان الأشجار الخضراء وعلى أنغام ارتال الفرق الموسيقية ودقات الطبول تعانق عنان السماء وزغاريد الاطفال والنساء من على شرفات البيوت والقصور المطلة على شارع الموكب مارين ببوابة عشتار ببابل معطرين المارة بـالأزهار وحبات الارز - الحنطة - الشعير.. الخ رمزا لبيادر الخير والبركة إلى ساحة الاحتفال الكبرى "معبد ايساكيلا"، منطلقين من معبد "اكيتو" البيت المقدس او الذبائح والى حيث هيكل الآلة مردوخ الذي تفوح منه عبير البخور الفواحة وعلى ايقاعات النغم وتراتيل الكهنة مهيئين الجو للصلاة، وكانت طقوس الأيام الاثني عشر تتم بهذا الشكل.

مسيرة الاستعراض ومعناها..

- اليوم الأول كان يخصص للصلاة والعبادة والخشوع وتلاوة التراتيل بأصوات عالية.

- وفي الصباح الباكر لليوم الثاني وقبل شروق الشمس كان الكهنة يقصدون نهر الفرات للغسل والتطهر وارتداء الملابس البيضاء تمهيدا لدخول هيكل مردوخ للصلاة فيه وإقامة الصلوات لمردوخ بمشاركة واسعة للناس وفي جو من السعادة الغامرة،

- وفي اليومين الثالث والرابع كانت الصلاة تبدأ قبل بزوغ أشعة الشمس وخلالها كان الملك يقصد هيكل برسيبا لجلب تمثال نابو نجل مردوخ حامي الألواح

- واليوم الرابع كان الكاهن العظيم يعيد قراءة قصة الخليقة البابلية "اينوما ايليش" وانتخاب كهنة لمعابد ايساكيلا و برسيبا وبابل

- واليوم الخامس كانت الصلاة في معبد ايساكيلا من الصباح وحتى المساء وتقديم الذبائح وكان الملك يشارك في الصلوات مع كبير الكهنة والأخير كان يغطس يد الملك في دم الذبيحة ويضعها أمام تمثال مردوخ وبهذا كان الملك يتنازل عن الصولجان والتاج وشارات الملك ويضعها أمام الآلة مردوخ ويصبح كعامة الناس وهو يتبارك أمام مردوخ يصلي ويدعو المغفرة لخطاياه، وكان كبير الكهنة يصفع أو يلطم الملك على خده وان أدمعت عيناه فكانت دلالة على مغفرته وقبول مردوخ لصلواته، ورش المذبح بالمياه المقدسة وتطهيره بدم الذبائح وتبخيره بالبخور الزكية وفي المساء كانت الذبيحة تلقى في نهر الفرات تكفيرا عن الذنوب للعام الذي مضى وخلال ذلك يتنازل الملك عن الملوكية او الحكم فكانت تعم الفوضى في الدولة لعدة ساعات ليعرف الناس قيمة الحكم والسلطة ومن ثم يستلم الملك الشارة الملكية فتعم سلطة القانون والأمن ثانية وهذا اليوم يعرف بـ كذبة نيسان " والذي أصبح ظاهرة عالمية يجوز فيها الكذب وانتقلت الظاهرة إلى اليوم الأول من نيسان

- اليوم السادس كانت تصل و تستقبل تماثيل الآلهة من مدن الدولة وتوضع تحت حماية ورعاية مردوخ،

- واليوم السابع كان مردوخ يتوارى عن أنظار الكهنة وعامة الناس

- وفي اليوم الثامن كان مردوخ يظهر في معبد ايساكيلا وتتحد الآلهة فيه لتتوفر الخصوبة

- أما بخصوص اليوم التاسع فليس هناك أية معلومات عن طقسه الاحتفالي لتهشم اللوح الأثري لذلك اليوم مع كل الأسف

- أما اليوم العاشر فكان يقام فيه حفل كبير في معبد اكيتو وكان معبد آشور يزين بالأعشاب الخضراء للدلالة على الفلاحة وكثرة الزراعة ومردوخ كان ينقل من ايساكيلا الى مجلس الآلهة،

- وفي اليوم الحادي عشر "يوم الفرحة" كان مردوخ يصارع الأرواح الشريرة معلنا الانتصار عليها وعلى تيامات،

- وفي اليوم الثاني عشر يوم مسك الختام كان نابو يرسل من معبد ايساكيلا الى برسيبا وترد جميع الآلهة إلى أماكنها الأصلية، وغيرها من الطقوس الكثيرة التفصيلية والتي لا يسع المجال لذكرها، وظلت هذه الطقوس تمارس طيلة الحكم النهريني السومري - الاكدي - البابلي - الآشوري من دون الحياد عنها، وبعد سقوط الكيان السياسي النهريني بسقوط نينوى ٦١٢ ق م والبابلي ٥٣٩ ق م انحسرت ظواهر الاحتفاء بهذه المناسبة الوطنية العظيمة بسبب تعاقب اجناس غريبة على حكم بين النهرين وأدى ذلك إلى تشويه و طمس الكثير من المعالم الحضارية النهرينية الجميلة، لكن مع الأسف الشديد أهملت هذه المناسبة وغيرها

من قبل عامة الشعب العراقي وكأنها تراث غريب جاء من وراء الحدود، ما عدا أبناء شعبنا الكلدوآشوري السرياني الذي حافظ عليها بطرقه الخاصة ومارس طقوسها بطرق بسيطة خلسة من عواقب قبضة السلطات الحاكمة، وربما لا ترتقي إلى عظمة وقدسية هذا الإرث الحضاري الإنساني الثر، فبحلول الأول من نيسان كان أبناء هذا الشعب يضعون حزمة من أعشاب او أزهار او سنابل الحنطة مجدولة من العام الفائت وتسمى بـالسريانية "دقنا دنيسن" أي لحية نيسان، على شرفة الباب او مدخل البيت ، ولم يتسن لهم إحياء تفاصيل هذه المناسبة الوطنية العراقية الحضارية خوفا من براثن السلطات الحاكمة بحجة تأجيج المشاعر القومية عند أبناء شعبنا الكلدوآشوري السرياني وكان المناسبة هي حكر خاص بهم وكذلك التسمية بمسميات حضارية عراقية آشور - سنحاريب - نارمسين - سركون - نهرين - كلدو - ...الخ.

وانفرد شعبنا بهذه التسميات العراقية الأصيلة ، وان هذه لهي لنقطة فخر واعتزاز يجب أن تسجل في الذاكرة الوطنية العراقية لشعبنا ويكافأ عليها ،وفي ١٢ من هذا الشهر المبارك علم ١٩٧٩ م ولد من رحم معاناة التقسيم والشرذمة والاضطهاد وطمس المعالم القومية لامتنا فصيل سياسي وطني قومي سمي بالاسم الآشوري " الحركة الديمقراطية الآشورية" " زوعا " الحضاري النهريني والذي دام حكمه زهاء ألفين عام استلهم القيم والمعاني وراية رمزه النسر الرافديني تتوسطه قرص الشمس ونجمة بابل الرباعية من الإرث الحضاري النهريني والنهج النهج الواقعي والحيادي في سبيله النضالي من قبل رعيل شبابي جامعي مؤمن بالقضية القومية وعدالتها حتى النخاع، ووسط ظروف سياسية قاهرة ، وفي ١٥ نيسان من عام ١٩٨٢ التحق بالفصائل الوطنية العسكرية المعارضة " النضال المسلح" وقدم كوكبة خالدة من الشهداء الأبرار على مذبح الحرية، مثل شعبنا في كل محطات ومنابر وفعاليات المعارضة العراقية داخلا وخارجا، وخلال الانتفاضة المباركة علم ١٩٩١ في كردستان حيث ساهمت الحركة مع بقية الفصائل السياسية في تنظيف المنطقة من أزلام النظام السابق وافتتحت مقرات لها حيثما تواجد شعبنا الكلدوآشوري السرياني وحازت بأربعة مقاعد من أصل خمسة والمخصصة لشعبنا في برلمان إقليم كردستان العراق عام ١٩٩٢ وكانت وراء استحصال الموافقة بالتعليم السرياني تشريعيا ودعم نجاحها ومواصلته واستحصال حقيبة وزارية وجعل الأول من نيسان "اكيتو" رأس السنة البابلية الآشورية عطلة رسمية لأبناء شعبنا والاحتفال بالمناسبة لمدة اثني عشر يوما بمسيرات بنفسجية عظيمة في محافظة دهوك واربيل ودعوة وفود من مؤسسات المهجر والفنانين للمشاركة بها وتقديم عروض رائعة والاحتفال بيوم السابع من آب يو م الشهيد استذكارا وتخليدا لمذابح سميل علم ١٩٣٣ والاحتفاء بالأول من تشرين الثاني من كل عام بيوم الصحافة تخليدا لذكرى أول صحيفة باللغة السريانية "زهريرا دبهرا" علم ١٨٤٩، وساهمت بفعالية في إنضاج الوعي القومي والوطني والسياسي لشعبنا وبشرت بالوحدة القومية ونبذت الطائفية، فكانت البوتقة الوحيدة التي جمعت كل أطياف ومسميات شعبنا فيها، وساهمت في إعادة بناء قرى شعبنا ماليا ومعنويا من خلال تأسيس اللجنة الخيرية الآشورية والمنظمات الأخرى، ولم تتوان في مساعدة شعبنا في أحلك الظروف والمطالبة بحقوقهم ورفع الغبن عنهم ، وناضلت وما زالت تناضل بلا هوادة من اجل رفع التجاوزات عن قرى شعبنا في إقليم كردستان العراق ، وقدمت بهذا المنحى كوكبة من الشهداء الخالدين نشوان سمير علم ١٩٩١ فيشخابور وزيا يوناثم وفرنسيس يوسف شابو الشهيد الأول لبرلمان إقليم كردستان ، وشاركت بجهود حفظ السلام بين الفصيلين الكرديين المتقاتلين وكل المحطات السلمية لهذا الاقتتال مع التزامها بالحياد الايجابي ، وكان لها الفضل الأول في نضوج الوعي القومي والوطني والديمقراطي وممارسة كل شريحة اجتماعية حقها وبلورة أفكارها في إطار مؤسسات ومنظمات مهنية وزجها في النضال من اجل المطالبة بحقوق جماهيرها، وتبلور ذلك في بروز اتحاد الطلبة والشبيبة الكلدو آشوري والتي قدمت الشهيدين الخالدين بيرس وسمير من اجل حماية كلتا الشريحتين وحقوقهما ، واتحاد النساء الآشوري والأندية الرياضية القومية التي سجلت حضورها اللافت في الساحة الوطنية وممثليات شعبنا في النقابات والاتحادات المهنية المختلفة، وفي المجال الإعلامي فقد واصلت جريدة بهرا طلتها باللغتين العربية والسريانية منذ ٢٦ حزيران ١٩٨٢ ولحد اليوم

وأدبيات ودوريات أخرى للفروع والمكاتب والبث التلفزيوني والإذاعي من زاخو ودهوك واربيل والبث الفضائي ومحطات خارج الوطن ، وزارت وفود من الحركة دول المهجر وتم تنظيم فعاليات شعبنا هناك وافتتاح ممثليات للحركة هناك لربط المهجر بالوطن لتعريف ودعم قضيتنا العادلة حيث تمثل الحركة السفير الوحيد لإيصال قضيتنا لكل المحافل والمستويات الدولية، وفي حياتها الداخلية والتنظيمية عقدت الحركة ستة مؤتمرات ديمقراطية وثلاثة كونفرانسات كمحطات لمراجعة الذات وتقييم المسيرة ورسم سياسات تواكب التغيرات الحاصلة، وخلال مسيرتها الممتدة لـ ٣٢ عاما واجهت الحركة تحديات سياسية وعسكرية ومواقف سياسية حرجة، إلا إنها بسياستها الراقية ونهجها الواقعي وإيمانها بالتضحية من اجل حقوق شعبنا ووطننا اجتازت وما زالت تجتاز كل المراحل والمواقف من دون أية مساومة على قضية شعبنا ووطننا وأهدافها السامية والمقدسة بدماء الشهداء وخلال عملية حرية العراق شاركت حركتنا بجهد عسكري قوامه "٢٠٠٠" مقاتل لأجل حرية العراق من النظام السابق وحماية شعبنا ومصالحه أثناء الفراغ السياسي والحكومي فكانت اليد الأمنة والعين الساهرة لقرى شعبنا ومناطقه وافتتحت مقرات لها حيثما يتواجد شعبنا، وشاركت في مؤتمرات صلاح الدين ١٩٩٢ ونيويورك ولندن وصلاح الدين الثاني قبل الإطاحة بالنظام السابق والناصرية ممثلة لشعبنا ومجلس الحكم المنحل والحكومة المؤقتة والمجلس الوطني وفي مجلس النواب الحالي بثلاثة ممثلين لشعبنا ضمن قائمة الرافدين الخاصة بشعبنا وبممثلين اثنين في برلمان الإقليم الكردستاني، واستحصلت الحركة قرار فتح قسم اللغة السريانية بكلية اللغات جامعة بغداد، والجدير ذكره والشيء المهم والاهم إنها التنظيم السياسي الوحيد الذي تصدى لجهات سياسية وشخصيات قصدت ومازالت لزرع بذور الشرذمة والشقاق بزوايات العطف بين مسميات شعبنا والارتزاق من خلال ذلك ،وليس من أدنى شك فالحركة تعتبر مدرسة عالية للوطنية والقومية والإنسانية لشعبنا مؤمنة بالتعايش السلمي والتآخي بين فسيفساء الشعب العراقي، وما احتفالاتها بأعياد نيسان إلا دليلا دامغا وساطعا لعمق انتمائها القومي الكلدوآشوري السرياني والوطني العراقي النهريني لذا على السلطات العراقية مراجعة الذات و رفع الغبن عن هذه الشريحة والتي يعبق منها عبق الأصالة النهرينية ورفع واو التقسيم بين مسمياتها في الدستور العراقي الاتحادي أسوة بدستور إقليم كردستان العراق.. وعدم الإصغاء على الأبواق الفارغة وذوي القرب الجوفاء وممن يعقدون المؤتمرات الكيفية بلصكون ويقررون على أهوائهم ومزاجهم هنا وهناك والذين يذرفون دموع التماسيح لهذه التسمية أو تلك ضحكا على عقول البسطاء من أهلنا الطيبين وبذر بذور الشرذمة والشقاق بين من خلقوا بقومية وتاريخ وارض ومشاعر ومصير ودين واحد كل ذلك ارضاءا لشعورهم الداخلي بالنقص وغيرتهم العمياء القاتلة.. ولا يمكن ان ينسى شعبنا المذابح التي تعرض لها من سميل وصوريا، ومن اجل هذا التاريخ النضالي فقد جعل الأول من نيسان عطلة رسمية علمة في العراق حفاظا على هذا الإرث الحضاري للعراق العظيم والاحتفاء به بطقوس لائقة تليق بعمقه الروحي والفلسفي و الإنساني، وتهنئة الشعب العراقي بهذا اليوم النيساني الأغر ومن لدن أعلى سلطات الدولة رئاسة الجمهورية والحكومة والبرلمان ، وإدخال طقوسه الاحتفالية في مناهج التاريخ الدراسية لكونه موروثا وطنيا عراقيا أصيلا يجمع حضارة ما بين النهرين السومرية - الاكدية - البابلية - آلآشورية و ليس محصورا بفئة معينة من دون أخرى، والعمل على إطلاق التسميات التاريخية على المواليد الجدد من أبناء العراق ولاسيما ابنا شعبنا ككل وعلى الشوارع والأبنية والحدائق والمؤسسات والمتنزهات ليكون الجيل الصاعد ملما بتاريخه وارثه الوطني و الحضاري العميق وإبعاده عن التخندقات المذهبية والطائفية التي لم تجلب عليه سوى القتل والتهجير وتمزيق النسيج الوطني، واعتبار التاريخ الأساسي والصحيح لتأسيس الكيان السياسي العراقي يعود لـ " ٢٣٤٠ "ق.م على يد الإمبراطور العظيم سركون الاكدي وليس ٢٣ آب ١٩٢١ م ... ولاختيار تصميم العلم الكلدو الآشوري السرياني النهريني قرص الشمس والنجمة الرباعية وإشعاعات النور المنطلقة منها نحو الاتجاهات الأربعة لتكون علما جديدا للعراق ولربطه بامتداده النهريني السحيق والتي تزخر بالمعاني والقيم والمدلولات النهرينية الثرة. وكذلك في العلم الكردي ليعكس موزائيك شعب كردستان عامة وليكون مرغوبا وقريبا من قلوب الكل ومزجها لمشاعرهم وليس مفروضا عليهم الاستعانة بقدر أكثر من التصاميم والرموز الحضارية العراقية على أوجه العملة الوطنية المعدنية والورقية، والمحافظة على اللغة السريانية وأدابها العريقة والتي هي نتاج الامتداد و التواصل والتلاقح الحضاري النهريني والأخذ بتعليم أبجديتها السلسة في المناهج اللغوية للمدارس العراقية، والعمل على ضمان حقوق شعبنا الكلدوآشوري السرياني بصورة عادلة وحقيقية في السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية مركزيا وفي إقليم كردستان في اختيار ممثليه من دون التدخل في شؤونه الخاصة ولا يعاد شبح الموت قتلا والتهجير عنهم.. واعتبارهم القومية الثالثة في الإقليم بعد الكرد وما يحمل هذا الشيء من إنصاف لحقوقهم المهمة على الأرض تيمنا بكون الكرد القومية الثانية في العراق وما يطالبون من خلال تلك الشراكة من الحقوق والامتيازات في الحكومة العراقية الاتحادية وليس حكومة وامتيازات الحصتين بين الحزبين الكرديين الرئيسيين والآخرون مهمشون يفتحون أفواههم نحو السماء لاستجداء منة صغيرة منهم حتى مل الشعب الكردي من معادلة المحاصصة المقيتة وبدا بالانشطار عنها وحقق نتائج مرجوة عبر قائمة التغيير في محطتين انتخابيتين رغم حداثتها ..

وكلنا أمل أن تصل هذه الملاحظات لمرأى ومسمع المعنيين .. وسنة بابلية آشورية جديدة ٦٧٦١ مباركة على جميع العراقيين... وميلاد ميمون للحركة الديمقراطية الآشورية " زوعا " وعطاء أن تعاد علينا بالأمن والأمان والاستقرار ....